المؤمن القوي

إعداد د. جمال المراكبي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله منَ المؤمنِ الضعيفِ وفي كُلٍّ خيرٌ. احرِصْ على ما ينفعُكَ، واستعنْ باللهِ ولا تعجزْ وإن أصابكَ شيءٌ فلا تقُلْ: لو أنِّي فعلتُ كان كذا وكذا ولكن قُلْ: قدرُ اللهِ وما شاءَ فعلَ فإنَّ (لو) تفتحُ عملَ الشيطانِ.

رواه مسلم - آخر كتاب القدر - حديث رقم - ٢٦٦٤، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله. وأخرجه ابن ماجه (٧٩)، وأحمد (٨٨٢٩).

وفي لفظ ابن ماجه: «ولكن قل: قدَّرَ اللهُ وما شاءَ فعَلَ» بتشديد الدال وفتح الراء جملة فعلية.. بينما هي في رواية مسلم: جملة اسمية بفتح القاف والدال وضم الراء.

شرح الحديث:

(المؤمنُ القويُّ): أول ما يتبادر إلى الذهن من معاني القوة: قوة الإيمان؛ فالإيمان عند أهل السنة قول وعمل ويزيد وينقص، ودخول العمل في الإيمان يشمل كل عمل صالح يتقرَّب به المؤمن إلى ربه عز وجل، وكذلك كل عمل ينصر به المؤمن دين الله عز وجل كالجهاد باليد وباللسان وبالسنان.

قال النووي في شرح مسلم: المراد بالقوة هنا عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة.

وقال غيره: إن المؤمن القوي في إيمانه، والقوي في بدنه وعمله خيرٌ من المؤمن الضعيف في إيمانه أو الضعيف في بدنه وعمله؛ لأن المؤمن القوي ينتج ويعمل للمسلمين وينتفع المسلمون بقوته البدنية

Upload by : altawhedmag.com

وبقوته الايمانية، وبقوته العلمية نفعًا عظيمًا في الجهاد، وفي تحقيق مصالح المسلمين، والدفاع عن المسلمين. وهذا ما لا يملكه المؤمن الضعيف، فمن هذا الوجه كان المؤمن القوي خيرًا من المؤمن الضعيف.

(وفي كلٍّ خير): فالايمان كله خير، المؤمن الضعيف فيه خير؛ لأن فيه إيمانًا بالله وبرسوله، ولا يكاد يخلو من عمل صالح ونافع؛ ولكن المؤمن القوي أكثر خيرًا منه لنفسه ولدينه ولأهله ولأمته.

ففيه الحث على القوة، ودين الإسلام هو دين القوة والعزة، يطلب من المسلمين القوة في كل شيء، قال الله سبحانه وتعالى: «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ»: القوة في الايمان والعقيدة، والقوة في العلم والعمل، والقوة في الأبدان، فالمطلوب من المسلم أن يكون قويًا في إيمانه وجميع مجالات حياته.

والقوة في الجهاد والقتال هي دقة الرمي، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي" رواه مسلم.

ويترتب على ذلك أن محبة الله للمؤمنين تكون على قدر إيمانهم، فكلما كان المؤمن أقوى في إيمانه وعمله الصالح كان أحب إلى الله تعالى من غيره من المؤمنين، وهذا ما يدل عليه أفعل التفضيل في قول النبي صلى الله عليه وسلم: "خيرٌ وأحبّ إلى الله": فهو بقوة إيمانه أفضل من غيره من المؤمنين وأحب إلى الله عز وجل من غيره من المؤمنين ممن هم دونه في ذلك: فالله سبحانه وتعالى «يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ»، ويحب المستعينين به والمتوكلين عليه «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ»، ويحب أهل العدل والإنصاف «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ»، وَيُحِبُّ الصَّابِرِينَ «وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ»، ويحب المتقين «فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ»، ويحب المتمسكين بهدي النبي صلى الله عليه وسلم وسُنّته العاضّين عليها بالنواجذ «قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ» (آل عمران: ٣١).

والله تعالى يحب الحنيفية السمحة، ويكره الإصر والأغلال، ومن أجل ذلك رفع عنا الآصار والأغلال وما جعل علينا في الدّين مِنْ حَرَجٍ.

وأحب ما يتقرب به إليه سبحانه: الفرائض، ثم النوافل بعد ذلك.

وأحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّت.

وأحب الأعمال إلى الله: الصلاة على وقتها، وبر الوالدين، والجهاد في سبيل الله، وصلة الرحم، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

وأحب الأعمال إلى الله سرور تُدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا.

أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس.

أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خُلقًا.

أحب القلوب إلى الله ألينها وأرقها.

وأحب الدموع إلى الله دمعة من خشيته.

وأحب الآثار إليه أثر في طاعته تمشي إلى جمعة أو جماعة أو مجلس علم وذكر أو طاعة وبر وصلة.

والله تعالى يحب الحياء والستر، ويحب التعفف.

والله يغار ويحب غيرة المؤمن.

ويحب أن يرى أثر النعمة على العبد حتى يأتيه الفقراء ويقصدونه لأجل الصدقة وقضاء ما يحتاجونه.

والله كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، وهو سبحانه عفو يحب العفو (اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني)، كما في الحديث.

والله يحب الرفق في الأمر كله.

والله يحب الوتر، فلا تترك صلاة الوتر، واقطع طعامك على وتر، وشرابك على وتر، واستجمارك على وتر، وهكذا..

ويحب الإحسان وكتبه على كل شيء

Upload by : altawhedmag.com

ويحب المدح فامدحه، وأكثر من مدحه (ليس أحد أحب إليه المدح من الله)، كما في الحديث.

ويحب الإعذار، وإقامة الحجة، وأن لا يبقى لأحد مُستمسَك يدرأ به عن نفسه، ومن أجل ذلك أنزل الكتب، وأرسل الرسل.

ويحب معالي الأعمال، ومعالي الأمور وأشرافها، ويكره سفسافها.

ويحب العبد التـ ـخفي، يُخفي نافلة الليل، والصدقات الـ ـ والاستغفار بالأسحار.

ويحب سَمح البيـ ـمح الشراء، سمح القضاء، سمح إذا قضى، وإذا ـ ـى وإذا أعطى، وإذا أخذ حقه، وإذا سدّد الحقوق، يعطي بسهولة لا يحتاج صاحب الحق إلى مجهود لأخذ حقه منه.

والله يحب العبد القوي في جسده وفي قلبه وإيمانه، القوي في علمه ومعرفة شريعة الله، القوي فيما ينفع المسلمين سواء كان في منصب أو في فن من الفنون يتقنه كالبرمجة التي قد يكون فيها قوة وعزة لأهل الإسلام في ميادين السلم والحرب.

فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.

فمن أراد زيادة المحبة من الله تعالى وزيادة القربى والصلة بالله؛ فليكُنْ حريصًا على تقوية إيمانه، وليَزْدَد من الله قربًا؛ اللهم إنا نسألك حبَّك وحبَّ مَن يحبك وحب عمل يبلّغنا إلى حبك.

من جوانب قوة المؤمن

ينبغي أن يكون المؤمن قويًا في كل شيء، ذا همة عالية في أمر دينه ودنياه؛ لأن عموم الحديث يشمل ذلك كله.

فالمؤمن قوي في توحيده، فيجتنب الشرك صغيره وكبيره، ويدعو إلى التوحيد وينشره، ويتوكل على الله تعالى في أموره كلها.

قوي في صلاته، يحرص على أدائها على وقتها بأركانها وواجباتها وسننها وخشوعها، ويحرص على إتمامها بالنوافل التي تكمل ما قد ينقص منها.

قوي في أداء ما أوجب الله عليه من الزكاة؛ فلا ينقص منها شيئًا، ولا يؤخرها عن وقتها، ويؤديها إلى مستحقيها، ويكمل ذلك بالصدقة المستحبة، وهكذا في صيامه وحجه وبره بوالديه، وغير ذلك.

كما ينبغي أن يكون قويًا في عمله في دنياه، ومعنى ذلك: أن يُحسن فيه نيته لربه جل وعلا، فينوي كسب الرزق الحلال، ونفع إخوانه المسلمين، ومساعدة المحتاجين، ويؤدي عمله بأمانة وصدق، ويتقنه إلى الغاية التي يستطيعها.

وبما تقدم كله يكون المؤمن قويًا فيما بينه وبين الله، وفيما بينه وبين الناس، فيتحقق فيه وصف المؤمن القوي من جميع جوانبه.

الاستمساك بدين الله تعالى بقوة وعزم

من شيَم المؤمنين الاستمساك بدين الله تعالى بقوة وعزم، قال الله عز وجل: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الزخرف: ٤٣)؛ إنك على صراط مستقيم لا عوج فيه، فتمسَّك به؛ وهذا أمر لذوي الهمم بالاستمساك بالكتاب علمًا وعملًا.

وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسَّكوا بها، وعَضُّوا عليها بالنواجذ"، وهذا يدل على غاية الاستمساك وقوته.

وأخبر الله تعالى عن دعاء المؤمنين فقال: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان: ٧٤)؛ فهم لم يسألوا مجرد أن يكونوا متقين، بل أئمة للمتقين.

وفي المقابل ذمّ الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (الحج: ١١)؛ قال مجاهد وغيره:

Upload by : altawhedmag.com

(على حرف): على شكّ. وقال الطبري: ذكر الله تعالى قومًا يعبدونه على حرف، وأنهم يطمئنون بالدين إن أصابوا خيرًا في عبادتهم إياه، وأنهم يرتدون عن دينهم لشدة تصيبهم فيه.

احرص على ما ينفعك

بعد أن عرفنا فضل المؤمن القوي وخيريته وأنه أحب الى الله عز وجل من المؤمن الضعيف، وبيّنت لنا الآيات والأحاديث ما يحبه الله عز وجل من المؤمنين ومن الأعمال.

جاء التوجيه النبوي بالحرص على النافع من الأقوال والأعمال، في أمور الدين والدنيا؛ والحرص معناه بذل الجهد والاعتناء بالشيء.

وعمل الإنسان لا يخلو من ثلاثة أحوال: إما نافع أو ضارّ أو لا نافع ولا ضارّ؛ فالضار محذّر منه فاجتنبه؛ والنافع مأمور به فاغتنمه، واحرص عليه. وما لا ينفع ولا يضر فالعاقل يشحّ بوقته وعمره أن يبذله في ما لا نفع فيه ولا ضرر.

ثم هذا الذي ليس فيه نفع ولا ضرر في حد ذاته في الغالب لا بد أن يكون وسيلة إلى ما فيه نفع أو ضرر وحينئذٍ يأخذ حكم الغاية؛ لأن الوسائل لها أحكام المقاصد؛ والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (احرص على ما ينفعك).

وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم علّق الحكم على ما ينفع فما كان أكثر استيعابًا لهذا الوصف فهو أولى، يعني ما كان أنفع فهو أولى، فإذا اجتمع عندك أمران أحدهما أنفع من الآخر فخُذْ بالأنفع منهما.

وبعد الحرص على النافع تأتي الاستعانة، فلا تعتمد على نفسك ولكن (استعن بالله)، فلا يمكن أن تنال مقصودك إلا بالاستعانة بالله؛ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (احرص واستعن) والواو تقتضي الجمع ولم يقل احرص ثم استعن بل قال احرص واستعن لتكون الاستعانة مقرونة بالحرص، والاستعانة هي طلب العون إما بالفعل وإما بالحال، إما بلسان الحال أو بلسان المقال.

بلسان المقال مثل أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، أو عندما تشرع في الفعل تقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، كما في الحيعلتين عندما تردد الأذان وما أشبه ذلك؛ فهذه استعانة بلسان الحال.

والحرص على ما ينفع وطلب العون عليه من الله عز وجل يقتضي أن تبادر وأن تغنم، فلا تفرط، ولا تتوانَ، ولا تُسوِّف، ولا تلتفت إلى حَوْلك وطَوْلك وقوتك؛ فتستغني عن الله عز وجل، بل انظر إلى ضعفك وفقرك وحاجتك الى الله عز وجل.

ولا تعجز

الإنسان في كثير من الأحيان يُخطّط ويضع تصورات، وإذا جاء عند التنفيذ خارت قواه وعزيمته، فلا يحصل المقصود، سواء في طلب العلم، أو في العبادة، أو التجارة، أو في غير ذلك.

فيكون خوَار العزائم، فمثل هذا لا يمكن أن يعمل أعمالًا يمكن أن ينتفع هو بها، أو ينتفع بها غيره.

وعادة يقع ذلك للإنسان بأحد سببين: إما الكسل والأمنيات الفارغة؛ وإما الضعف والعجز والخور.

وقد علمنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نستعيذ بالله من العجز والكسل؛ فعن أنس بن مالك قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل وضلع الدين وغلبة الرجال".

فإن أصابك شيء مما تكرهه، أو لم تنجح في مسعاك بعد أن استنفدت الوسائل وأخذت بالأسباب، فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا لكان كذا، ولكن قل: قدّر الله وما شاء فعل، هذا قدَر الله، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فإنّ "لو" تفتح عمل الشيطان.

والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com